SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.25 NO. 2 2026
DOI: 10.51984/G36FZ684

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

مقاصد الخطاب التربوي وتطبيقاته المعاصرة من خلال سنة: (الجزاء من جنس العمل) في سورة التوبة

أبو بكر محمد أبو بكر

جامعة سبها، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، ليبيا

الملخص

يتناول البحث دراسة في التفسير الموضوعي لسورة التوبة، يتم من خلالها استقصاء الآيات التي لها دلالة على سنة الجزاء من جنس العمل، وتوظيف مقاصدها للوصول لنتائج مهمة يتم إسقاطها في البيئات التربوية والتعليمية، وتطلب البحث تقسيمه إلى أربعة مباحث، يندرج تحتها مطالب، مسبوقة بمقدمة تعرض: أهمية الموضوع، والإشكالية، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وجاء المبحث الأول ليدرس مقاصد الخطاب القرآني عمومًا، والمبحث الثاني ليأصيل النصوص الشرعية لسنة الجزاء من جنس العمل، والمبحث الثالث ليبين الخصائص الموضوعية والتربوية لسورة التوبة، والمبحث الرابع خصص لبيان التطبيقات المعاصرة لسنة (الجزاء من جنس العمل) في البيئات التربوية والتعليمية، ويعقب كل ذلك خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية:

المقاصد
الخطاب التربوي
التطبيقات المعاصرة
سورة التوبة
الجزاء
العمل

The objectives of educational discourse and its contemporary applications through the Sunnah: (Reward according to the deed) in Surah At-Tawbah

Aboubakr Mohammed Aboubakr Nouraldeen

Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, Sebha University, Libya.

ABSTRACT

This research examines the thematic interpretation of Surah At-Tawbah, exploring verses that illustrate the principle of retribution in kind, and utilizing their objectives to arrive at significant conclusions applicable to educational settings. The research is divided into four sections, each with its own subsections, preceded by an introduction outlining the importance of the topic, the research problem, previous studies, and the research methodology. The first section examines the objectives of the Qur'anic discourse in general, the second section establishes the foundations of the legal texts regarding the principle of retribution in kind, the third section explores the thematic and educational characteristics of Surah At-Tawbah, and the fourth section examines contemporary applications of the principle of retribution in kind within educational settings. The research concludes with a summary of the most important findings and recommendations.

Keywords:

Objectives
educational discourse
contemporary applications
Surah At-Tawbah
Reward
Work

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للعالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فينطلق هذا البحث من عناية القرآن الكريم بتزكية الإنسان وتوجيه سلوكه، وما يشتمل عليه خطاب القرآن الكريم من سنن إلهية ذات أثر في بناء الفرد والمجتمع، ومن هذه السنن (سنة الجزاء من جنس العمل)؛ إذ تتكرر في النصوص الشرعية صورٌ تربط بين فعل الإنسان وما يترتب عليه من جزاء يماثله، وتتناول الدراسة هذه السنة في سورة التوبة، للكشف عن دلالاتها ومقاصدها التربوية، ثم النظر في ما يمكن الإفادة منه في بعض المجالات المعاصرة، مع مراعاة سياق الآيات وما قرره المفسرون.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من تناول سنة قرآنية ذات صلة مباشرة بتوجيه السلوك وتقويمه، من خلال قراءة استنباطية للآيات المعنية في سورة التوبة، وتسعى الدراسة إلى بيان الصلة بين دلالة النص وأثره التربوي، مع الانتقال من عرض معنى الآيات إلى استنباط ما يمكن الإفادة منه في الواقع، كما تتجلى أهمية البحث في محاولة ربط التفسير الموضوعي بقضايا التربية المعاصرة، دون فصل التطبيقات المقترحة في البحث عن أصولها الشرعية وسياقاتها القرآنية.

الإشكالية:

*Corresponding author:
E-mail addresses: bou.noridin@sebhau.edu.ly

Article History : Received 02 August 2026 - Received in revised form 25 October 2026 - Accepted 06 November 2026

وهي دراسة منصبة على سورة المسد، تبين كيف رسخ الخطاب القرآني مبدأ العدالة، وقضى بأن المرء إنما يجازى بشيء من جنس عمله، وبما يقابل صنيعه، حيث يستنبط منها في كل آية أو في كلمة قاعدة الجزاء من جنس العمل.

الفجوة: جاءت الدراسة مختصرة جدًا باعتبارها مختصة في قصار السور المكية (سورة المسد)، ولم تتناول الإسقاطات المؤسسات التربوية المعاصرة وتطبيقاتها.

3- **(الخطاب القرآني التربوي في سورة النور)**، د. زهرا رضا زاده عسكري، - حيدر ابراهيم شلاكة، جامعة طهران، كلية المعارف والفكر الاسلامي، مجلة كلية الفقه، جامعة الكوفة، العراق، العدد: 54، 2026م، 1447هـ.

الفجوة: جاءت الدراسة منصبة على سورة النور، ولم تتناول مبدأ الجزاء من جنس العمل بالخصوص، فكانت عامة في تحليل الخطاب التربوي، من خلال الوقوف على مفاهيمه وأساليبه التربوية عمومًا.

الإضافة العلمية:

تتمثل الإضافة التي يهدف البحث تقديمها في الجمع بين تحليل الخطاب القرآني في سورة التوبة، واستنباط المقاصد التربوية المرتبطة بسنة الجزاء من جنس العمل، ثم صياغة بعض التطبيقات المعاصرة في مجالات الوعظ والأسرة والتعليم، وبالتالي يحاول البحث ربط الدراسة التأصيلية بالجانب التطبيقي، مع الحرص على أن تكون التطبيقات المقترحة مرتبطة بدلالة النص وسياق الآيات.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على استقراء آيات سورة التوبة وتدبرها، وتحديد المواضع التي يظهر فيها معنى الجزاء من جنس العمل، ثم الرجوع إلى المعاجم ومفردات القرآن لتوضيح الدلالات، كما أفادت من أقوال المفسرين في بيان المعنى وسياق الآيات، ومن بعض الأبحاث التربوية المعاصرة في فهم التطبيقات المحتملة، وسارت الدراسة وفق المنهج الوصفي في عرض المسائل، والمنهج التحليلي في فحص الآيات ودلالاتها، والمنهج الاستنباطي لاستخراج المقاصد التربوية، والمنهج التطبيقي في اقتراح أوجه الإفادة من تلك المقاصد في الواقع المعاصر.

وبناءً على هذه المناهج، عرضت المادة في إطار متكامل يجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل التربوي والتطبيقي، مع تجنب تحويل البحث إلى خطاب وعظي محض، وقد انتظم البحث في أربعة مباحث، تندرج تحتها مطالب تتناول المفاهيم الأساسية، وتأصيل السنة في النصوص الشرعية، وخصائص سورة التوبة، ثم التطبيقات المعاصرة، وخُتمت الدراسة بأبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مقاصد الخطاب القرآني:

المطلب الأول: مفهوم المقاصد:

القصد لغة: إتيان الشيء، واستقامة الطريق، يقال: طريق قاصد: أي سهل مستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ [النحل: 9]، والمعنى: تبيين الطريق المستقيم، ويقال: سفر قاصد: أي سهل قريب، قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا﴾ [التوبة: 42]، ويطلق القصد ويراد به: خلاف الإفراط، ومنه القصد في المعيشة وفي النفقة؛ والمعنى التوسط بين الإسراف والإقتار، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ

تتمحور إشكالية البحث حول كيفية الوصول إلى المقاصد التربوية التي تقرها سنة الجزاء من جنس العمل في سورة التوبة، وما يستنتج من فهم للعلاقة بين السلوك الإنساني وعاقبته، فبالنظر إلى الخطاب القرآني بوصفه بناءً متكاملاً يقتضي مراعاة الغاية، والسياق، والموضوع ، وعدم فصل الآيات عن مقاصدها العامة، ومن ثمّ تتجه الدراسة إلى تحليل هذه السنة في السورة، وبيان خصائص التوجيه التربوي، ومدى إمكان الإفادة منها في معالجة بعض القضايا السلوكية.

وتتصل الإشكالية بوجود تفاوت بين بعض الممارسات التربوية المعاصرة وبين المنطلق القرآني الذي يربط العمل بمآله، ويجعل إصلاح السلوك متصلاً بالإيمان والمسؤولية، وتبرز سورة التوبة في هذا السياق بوصفها مجالاً مناسبًا لدراسة هذا الربط؛ لما تضمنته من نماذج في بيان عواقب الأفعال وما تؤل إليه، وتسعى الدراسة إلى استجلاء هذه الدلالات، ثم صياغة تطبيقات تربوية منضبطة بها.

كما تتمثل إحدى جوانب المشكلة في الحاجة إلى دراسة مقاصد الخطاب التربوي في سورة التوبة، دراسة تتجاوز الوقوف عند المعنى التفسيري المحض، لتبحث في كيفية توظيف سنة الجزاء من جنس العمل في الوقاية من بعض المشكلات السلوكية ومعالجتها، ويقتضي ذلك الجمع بين التدبر والتحليل والاستنباط، مع التمييز بين ما تدل عليه الآيات مباشرة، وما يقترحه الباحث من تطبيقات على الواقع المعاصر، وبناءً على ذلك، تتمحور مشكلة الدراسة في الإجابة عن عدة تساؤلات؟؟ تم تلخيصها فيما يلي:

1- ما المفهوم التربوي لسنة الجزاء من جنس العمل في سورة التوبة؟
2- كيف يمكن توظيف المنهج التربوي لسنة الجزاء من جنس العمل في سورة التوبة لتقويم الانحرافات السلوكية؟
3- كيف يمكن تطبيق آليات تربوية وتوظيف المقاصد في البيئات الأسرية والمؤسسات التعليمية؟

الدراسات السابقة:

تناولت دراسات متعددة موضوعات تتصل بالخطاب القرآني ومقاصده، كذلك تم تناول سورة التوبة من جوانب تفسيرية وموضوعية متنوعة؛ من ذلك دراسة أغراض السورة، وتحليل ما ورد فيها من حديث عن النفاق وصفات المنافقين، ومع أهمية هذه الدراسات، فإن البحث الحالي يتجه إلى استقراء سنة الجزاء من جنس العمل في سورة التوبة، وتحليل مقاصدها التربوية، ثم بحث إمكان الاستفادة منها في مجالات معاصرة، وفيما يلي نماذج من الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث:

1- **جزاء العمل في القرآن الكريم: دراسة موضوعية**، وهو أطروحة ماجستير، للطالب: المعمري، عبد الله بن سعيد بن خلفان، جامعة آل البيت، كلية الشريعة، قسم القرآن الكريم وعلومه، الأردن، 1999م.

الفجوة: جاءت الدراسة عامة في بيان تحليل الآيات المعنية في القرآن الكريم كاملاً، ولم تفكك سورة التوبة تفكيكًا مقاصديًا يربط الخطاب بسنة الجزاء، وركزت على الجانب العقدي والتفسيري النظري ومظاهر الجزاء في الآخرة، دون الالتفات لآليات الخطاب التربوي وتطبيقاته المعاصرة.

2- **الجزاء من جنس العمل في سورة المسد**، للباحث: السكاكر، علي بن عبدالله بن حمد، السعودية، 2018، 1440هـ.

ومناسباتها.

ويعد أبو حامد الغزالي أول من أفرد مقاصد القرآن بالبحث، وجعلها ستة مقاصد: ثلاثة سوابق، وهي:

1- تعريف المدعو إليه.
2- تعريف الصراط المستقيم.
3- تعريف الحال عند الوصول إليه تعالى.

وثلاثة لواحق، وهي:

1- تعريف أحوال المطيعين ولطائف صنع الله فيهم، وسره ومقصده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين عن الإجابة، وسره ومقصده الاعتبار والترهيب.
2- حكاية أقوال الجاحدين، وكشف فضائحهم، وسره ومقصده في جنب الباطل الإفصاح والتنفير، وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيت.
3- تعريف عمارة منازل الطريق (ينظر: الغزالي، 1427هـ - 2006م،44).

إلى أن جاء الطاهر بن عاشور، فترجم مقدمة في تفسيره: التحرير والتنوير بعنوان: (غرض المفسر)، تناول في ثناياها مقاصد القرآن، وحصرها في ثمانية مقاصد كبرى (ينظر: ابن عاشور، د: ت، 138)، وتعد أعمق ما كُتب حديثًا في هذا المجال، كما فصّل يوسف القرضاوي مقاصد القرآن، وجعلها سبعة مقاصد لا تصلح الإنسانية بغيرها (ينظر: القرضاوي، 2011م، 73)، وقد أبان القرآن الكريم مقاصده، فجمع خطابه مقاصد عامة، وجعل لكل حكم من أحكامه مقصدًا، ودعا المخاطبين لمعرفة أسراره والتدبر في استنباط تلك الغايات، وتفنن في عرضه بأساليب مختلفة، ومن ثم جعل هذا المنهج من عاداته، يعرف ذلك من له كمال فهم وحسن تدبر، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على حكمته تعالى التي تتمثل في إحاطة علمه بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، (ينظر: الأصفهاني، 1426هـ - 2005م، 134).

وخلاصة ما سبق أن الحكمة تقوم على وضع الأمور في مواضعها، ومراعاة أحوال المخاطبين عند توجيههم، ويمكن النظر إلى مقاصد القرآن باعتبارها المعاني والغايات التي يرشد إليها الخطاب، وما يتصل بها من جلب المصالح ودرء المفاسد، وقد أفرد العز بن عبد السلام حديثًا عن مقاصد القرآن، بيّن فيه اتصالها بالمصالح الدينية والدنيوية، والغاية من إنزاله (ينظر :العز بن عبد السلام،1414هـ-1991م، (1/10)، وتظهر هذه المقاصد بالتدبر في الآيات، وهي مما ينبغي للمفسر أن يعتني بإبرازها، وفي هذا يقرر ابن جزي أن دعوة الخلق إلى عبادة الله والدخول في دينه من المقاصد الجامعة للقرآن، وما يتصل بذلك من بيان العبادة والدواعي إليها (ينظر: ابن جزي،1426 هـ - 2005م،(1/13).

وتعددت مسالك المفسرين تبعًا لاختلاف اهتماماتهم ومناهجهم؛ فمنهم من توسع في اللغة والإعراب، ومنهم من اعتنى بالمسائل الكلامية أو الأخبار والقصص، ومنهم من ركز على الأحكام، ولا يلزم من هذا التفاوت إغفال المقاصد، بل تبرز الحاجة إلى الإفادة من تلك الجهود مع العناية بما يرشد إليه النص من هدايات وغايات، ومن هنا تتأكد أهمية إبراز المقاصد عند تفسير الآيات، بما لا يجاوز دلالة اللفظ ولا يخالف سياقه (ينظر : القلموني،1990 م،(1/8).

المطلب الثالث: مفهوم الخطاب التربوي القرآني:

بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: 67]، ويقال: قصد فلان في الأمر قصدًا: توسط، ومنه المقتصد بين الظالم والسابق (ينظر: ابن منظور، 1423هـ - 2003م، مادة: (قصد) الفيروزآبادي، 1426هـ - 2005م، مادة: (قصد)، الفيومي، د: ت، مادة: (قصد)، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: 32].

والمقاصد في الشرع: مصطلح حديث لم يتناوله المتقدمون من الفقهاء والأصوليين؛ لعدم الحاجة إليه، فلم يكن مستقلاً في القرون الأولى، وإنما مرّ بمراحل عبر الاستقراء والتعليل للنصوص القرآنية والأحكام الفقهية، وعبر عنه المتقدمون بألفاظ أخرى منها: الأسرار، والمعاني، ويعد الشاطبي المؤسس الحقيقي لعلم المقاصد كعلم مستقل عن أصول الفقه التقليدي في كتابه: (الموافقات)، حيث قسّمها إلى: مقاصد الشارع، ومقاصد المكلف (ينظر: الشاطبي، 1423هـ - 2002م، 7/2).

واستعمل المتأخرون ألفاظًا أخرى، مثل: الغايات، والأهداف، والأغراض، لكنها حظيت بعناية خاصة من قبل المختصين والباحثين لأهميتها ودورها البارز في علم التفسير، وفي قضايا معاصرة (ينظر: مسعود صبري، 1440هـ - 2018م، 10)، ومن هنا بدأت أصول هذا العلم تترسخ ومناهجه تتضح، إلى أن جاء الطاهر بن عاشور الذي انتقد حصر المقاصد في الكليات الخمس في كتابه: (مقاصد الشريعة)، ودعا إلى صياغة مقاصد اجتماعية عامة، مثل: الحرية، والمساواة، ونظام الأمة، والسماحة، وحفظ الفطرة، ثم ربطها بالتفسير في كتابه: (التحرير والتنوير)، فوظّفها في استنباط الأحكام وتوجيه الآيات، (ينظر: ابن عاشور، 1426هـ، 49)، وكذلك علال الفاسي الذي ربط المقاصد بالحقوق والحريات العامة والعدالة الاجتماعية في كتابه: (مقاصد الشريعة ومكارمها) (ينظر: علال الفاسي، 1432هـ - 2011م، 111).

ووجه الاتفاق بينهم أن مقاصد الشريعة ترجع إلى الأمر باكتساب المصالح، والزجر عن اكتساب المفاسد، وعرفوها بأنها: الغايات التي جاءت بها الشريعة، وهي روح الإسلام وحقيقته من جهة تشريعاته الخاصة والعامة، وكلها تدور حول إصلاح المجتمع الإسلامي، وتعنى مقاصد الشريعة بالضروريات الخمس التي لا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا؛ وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ العقل، وحفظ المال (ينظر: الشاطبي، 1423هـ - 2002م، 8/2، الغزالي، 1413هـ - 1993م، 174)، ويستنبط منها إدخال القيم الإسلامية والمصالح الشرعية في العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة؛ كالتعليم والتربية، والسياسة، والاقتصاد، وغيرها.

وبالنظر إلى ما سبق لمفهوم المقاصد تظهر دلالة مهمة تتعلق بموضوع البحث؛ وهي إصابة الأهداف، والكشف عن الأسرار، وهو لب مقاصد القرآن، فالبحث في القرآن عن مقاصده التي لأجلها أنزل ليسهل علينا فهمه وتدبره، هدف كل متدبر لكتاب الله.

المطلب الثاني: مفهوم مقاصد القرآن:

صرف الله تعالى آيات القرآن لمقاصد عظيمة وحكم سامية، ويمثل علم المقاصد في العصر الراهن رؤية تجديدية في التفسير المقاصدي للقرآن، فهو يتناول السنن الإلهية، ومباحث العقيدة في الدعوة إلى الإيمان، والقصص، والأخلاق، وتشريع الأحكام، وهو منهج واضح المعالم والدلالات.

ونحن إذا أمعنا النظر في المقاصد عمومًا، وطبقنا مفاهيمها على الخطاب القرآني، نجد مضامينها تترجم الحكم والغايات التي تدور حولها النصوص، والتي أُنزل القرآن لأجل تحقيقها، باستقراء نصوص الآيات وسياقاتها

ويفيض شوقه ، فخشيته وخوفه يكونان له كالجناحين للطائر.

وبه يعلم أن مبدأ الجزاء من جنس العمل سنة قرآنية، وسنة نبوية، وهما مداخل للإقناع، والله تعالى أوجب على عباده أن يتدبروا كتابه، وأن يتأمّلوا معانيه ويمعنوا النظر في آياته؛ ليكون ذلك حظًا من التعلق بالقرآن والاتصال به، تستدعي حقن الإيقاظ في النفوس، وهي أعظم مقاصد الشرع، والخصيصة التي كان عليها الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام - من قبل، ورسولنا -ﷺ- من بعد، فأنشأ -ﷺ- ذلك الجيل على تقوى الله والخوف منه، فكانوا مع اجتهادهم في طاعة الله تعالى في غاية الخوف والخشية منه.

ودلت الأدلة من الكتاب والسنة على فضيلة التقوى، ولو تتبعنا حديث القرآن عما ادخره الله تعالى للمتقين لوجدنا فيضًا من البشارات والهدى، والثواب والنعيم، ومن هنا نتناول المبحث في مطلبين اثنين: تقرير الجزاء من جنس العمل في القرآن الكريم، وتقريره في السنة النبوية.

المطلب الأول: الشواهد القرآنية لسنة الجزاء من جنس العمل.

أخبر الله عز وجل في كثير من الآيات أنه يعامل خلقه بجنس أعمالهم، وهو مظهر من مظاهر العدل الإلهي في الدنيا والآخرة، وقاعدة شرعية وسنة ربانية، ومن رحمته تعالى بخلقه أن جعل الجزاء من جنس العمل، فمنه ما يكون في الدنيا، ومنه ما يكون في الآخرة، فكما أحسن المحسنون بأعمالهم، أحسن الله إليهم بنعمته ورحمته، وأما المسيئون فيُجازَوا بمِثْل أعمَالهم تمامًا.

وتواترت الآيات القرآنية في هذا المعنى، فتضمن الخطاب القرآني سننًا إلهية كبرى، كان من أبرزها سنة الجزاء من جنس العمل، وسما بذلك على كل ما عداه من المناهج البشرية والقوانين الوضعية، التي ليس في جعبتها إلا العقاب فحسب، الأمر الذي جعل الانفراد بهذا العنصر لا يردع ولا يخيف؛ لأنه ليس له في القلوب مكانة، وبالتالي فهي لا تقبل العذر بالجهل، ولا بالخطأ، أو النسيان، والمتدبر للخطاب في القرآن الكريم يدرك أنه قد اتخذ مبدأ الجزاء من جنس العمل سبيلاً لتحقيق مقاصده، سواء في الأوامر أو النواهي، أو الوصول إلى أهدافه، ولذلك فهو فياض بشتى صور وأساليب هذه المعالم، فتارة يكون الخطاب للمسلمين، وتارة للكافرين، ووقتًا في ترغيب، ووقتًا في ترهيب، وآونة في بشارة، وآونة في نذارة (ينظر: الشوكاني، 1414هـ، 86).

ولا شك أن القرآن الكريم كلام إلهي المصدر، ولغته في غاية السمو، وغير خاف أن سنة الجزاء من جنس العمل حقيقة شرعية وسنة إلهية واضحة المعالم والدلالات، دلت عليها نصوص الوحيين بشكل قاطع، وهذا كله مبسوط في القرآن بعبارات متنوعة، فهي ليست نتاج فكر إنساني، ولا عمق فلسفي، بل هي أسلوب شرعي، وارد في نصوص الكتاب والسنة.

وتقتضي ظروف العصر الراهن أن يستفاد من جميع ما اشتملت عليه هذه النصوص، والاستفادة من أرصدة المتدبرين من المفسرين، وتوظيفها في مجال البحث العلمي بما يتناسب معها مقصدًا وموضوعًا، من خلال تحرير هذه القضايا بالاستنتاج والقراءة الجيدة للنصوص، حتى نستيقن أن هذه النصوص هي كمال أثر في المتلقي.

والخطاب القرآني يربي النفس البشرية من جميع نواحيها، وينفذ إليها من جميع منافذها، فأصبح بهذه المعالم دستور حياة ، تتلقى منه هذه الأمة منهاج حياتها ومصالحها إلى يوم القيامة، ومن هنا كان لزامًا على المسلمين قراءة كتاب الله قراءة مصحوبة بالتدبر والخشوع لمعرفة السنن الإلهية التي تضمنتها الآيات لتتفاعل معها القلوب، لينعكس ذلك على السلوك، فمن غير التدبر لا يمكن أن يكون هناك تأثر.

يُعد الخطاب القرآني مجالاً خصبًا لمباحث علوم القرآن، خاصة التفسير الموضوعي، كما تتصل دراسته بالنظر المقاصدي والتحليل الأسلوبي، ولا يُتعامل معه في هذا البحث بوصفه ألفاظًا منفصلة، بل باعتباره خطابًا موجّهًا يراد فهم دلالاته بدلالة السياق ، والمخاطَب ، والمقام، ومن ثمّ فإن تحليل الخطاب لا يقتصر على ظاهر العبارة، وإنما يراعي المعاني التي تنتظمها، والغايات التي يسعى إلى تحقيقها، وأثرها في المتلقي.

ويخاطب القرآن الإنسان بما لا يخالف فطرته وحاجاته المستمرة، ويحثه على التدبر والاعتبار، ويعرض القرآن أحوال الأمم السابقة للعبرة، ويبين سنن الله في خلقه، كما يوظف الأمثال في تقريب المعاني وتوجيه النظر، وهذه الأساليب لا تنفصل عن مقصد الهداية والإصلاح، بل تسهم في بناء الوعي وتقويم السلوك، مع مراعاة السياق وأسباب النزول وأحوال المخاطبين، ومن هذا المنطلق تتصل سنة الجزاء من جنس العمل بالخطاب التربوي؛ إذ توضح أثر الأعمال ومآلاتها، وتمهد لدراسة اختصاص سورة التوبة بها، وقد أشار ابن عاشور إلى عناية القرآن بأمثاله لما فيها من وجوه البلاغة الداعية إلى التدبر ينظر : (ابن عاشور، د.ت،(23/397).

ويظهر هذا المقصد في تربية الإنسان على البر وعمل الخير، وربطه بمبدأ الجزاء من جنس العمل في عدة آيات، ليشغل العقل بمعرفة الحساب والجزاء الذي ينتظر كل الخلق، لذلك دلّ المخاطبين على النعم ليشكروها، وعرفهم طريق الكفر وجزاءه ليجتنبوه (ينظر: النحلاوي، 2008م، 19).

والقرآن هو كلام الله المنزل على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف، المبدوء بالفاتحة والمختتم بالناس، وقد اعتنى العلماء بتعريفه من خلال خصائصه، كالإنزال والإعجاز والحجية والبيان، مع اختلاف عباراتهم في ذلك (ينظر: الزرقاني، 1424هـ - 2003م، 19/1، ابن قدامة، 1423هـ- 2002م، 334/2)، وهذا التعريف يوضح المقصود بالخطاب القرآني في الدراسة، ويحدد المرجعية التي ينطلق منها التحليل.

وماذا يقال في كتاب يُتوصل بفهم خطابه إلى مُنزله، وله خاصية التعبد بكل حرف منه، الذي أعجز من نزل بين ظهرانيهم عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة.

لقد عني الخطاب القرآني بالعقل الإنساني أيّما عناية، ودعا إلى إعمال الفكر في فهم الآيات وإدراك دلائل الهداية في الكون والحياة، فكثير ما يشير الخطاب إلى العقل في مقام الاستدلال، ولا غرابة في أن العقل حين يتخلص من الهوى يدرك ما يقصده الشرع، ولا شك أن للخطاب القرآني منهجه المتميز في تقرير تلك المعالم، فهو يقرر للإنسان حقوقه وواجباته، وكم هي الآيات التي تقدم نظامًا تقويميًا يربط السلوك البشري بالقدر الإلهي ربطًا محكمًا.

المبحث الثاني: النصوص الشرعية لسنة الجزاء من جنس العمل:

يعد مصطلح (الجزاء من جنس العمل) من المصطلحات الواردة في الشريعة الإسلامية بشكل عام؛ لأنها تعتمد اعتمادًا أساسيًا وكبيرًا على مبدأ الثواب والعقاب، والناظر في نصوص الشريعة الإسلامية يلحظ: أن آيات القرآن وسنة الرسول -ﷺ- مليئتان بالدعوة إلى الله بالسنن الإلهية، وإذا ما تدبرنا السياق القرآني نجده يحرص على تشويق القارئ، وينقله من منزلة إلى أخرى، ليوصله إلى ما فيه نفعه من ثمرات الجزاء، ومقاصد الهداية، يلتمس من خلالها أسرار الإعجاز القرآني ودوامه في العطاء، فإذا ما تفاعل معها ونظر فيها بإمعان، واستعمل ما آتاه الله من وسائل، فلا شك أن إيمانه يزداد بذلك،

لمن وصلها أو قطعها، أو بر الوالدين، أو المعاملة بالنية، أو بيان أن من يسّر على معسر يسّر الله عليه، ومن ستر مسلمًا ستره الله، وفي المقابل أن من سعى بالشر ارتدّ عليه أثر جرمه، ولعل حديث أبي هريرة -ﷺ- كان أكثر الأحاديث شمولاً وجمعًا لمعاني متعلقة بسنة الجزاء من جنس العمل، وهو قوله -ﷺ-: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...» (مسلم، 2005م، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، برقم 2699).

ولسنا الآن بصدد استقصاء الأحاديث وتحليل معانيها في هذا المجال، وإنما الاستشهاد بنماذج مهمة منها، وسوف نشرع في بيان المجمل لهذه الأحاديث على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فإن الدراسة مقتصرة على السنن الإلهية في الخطاب القرآني، وبالخصوص في سورة التوبة.

وهذه الأحاديث كلها خلاصة منتقاة من جوامع كلمه -ﷺ-، وهذا من الخصائص النبوية التي اختص بها النبي -ﷺ-، حيث اختصر له الكلام اختصارًا، بحيث تكون الكلمة الواحدة دقيقة محكمة، يتسع مجال الفهم فيها لجمل كثيرة، فضلاً عن المقاصد التي تتولد من الحديث الواحد، وتندرج تحت الجزاء من جنس العمل، وهنا يتم عرضها:

1- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله -ﷺ-: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ مِنَ النَّاسِ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَطْيَبَ» (المسند، 2005م، في مسند أبي هريرة -ﷺ-، ح (8650)، 354/2).

2- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله -ﷺ-: «مَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ عز وجل» (النسائي، 1426هـ - 2006م، في كتاب: الإمامة، باب: من وصل صفًا، ح (819)).

3- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله -ﷺ-: «عِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ، وَبِرُّوا آبَاءَكُمْ يَبِرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ» (الطبراني، ح (6295)).

المبحث الثالث: الخصائص الموضوعية لسورة التوبة:

المطلب الأول: التعريف بالسورة:

تعد سورة التوبة من أكثر سور القرآن الكريم تسمية، وسميت بالتوبة في جميع المصاحف، وكتب السنة، والتفسير بهذا الاسم، قاله حذيفة وغيره؛ لأنها تناولت توبة الله على النبي -ﷺ- والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة، وعلى الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك (ينظر: السيوطي، 1394هـ - 1974م، 193/1، ابن عاشور، د: ت، 95/10).

وهنا نورد أسماءها التي تم استقراؤها من كتب التفسير مع بيان تعليلها، فقد ورد أن سورة التوبة لها أسماء كثيرة هي صفات لأهم ما اشتملت عليها من آيات، وأكثر معاني هذه الألقاب ظاهر في معنى فضيحتها للمنافقين، فمنها: سورة براءة؛ لأنَّ مطلعها جاء بإعلان براءة الله تعالى ورسوله -ﷺ- من المشركين، وهذا من أشهر أسمائها.

ومنها: المقشقشة، قاله ابن عمر وابن عباس ﷺ؛ لأنَّها تقشقش من النفاق وتبرىء منه.

ومنها: المبعثرة؛ لأنَّها تبعثر عن أخبار المنافقين، وتثيرها، قاله ابن عباس.

وقد قرر القرآن الكريم هذا القانون في مواضع شتى، بأساليب بلاغية بالغة الدقة؛ فكم هي الآيات التي تناولت هذا القانون في القرآن الكريم؟! وكيف صرفت وتنوعت أغراضها؟! وسوف يتم في هذا المبحث عرض الآيات التي بدا فيها مبدأ الجزاء من جنس العمل واضحًا وجليًا، وتم تقسيمها ثلاثة أقسام: آيات غلب فيها جانب الثواب، وآيات غلب فيها جانب العقاب، وآيات جمعت بين الثواب والعقاب، وهي من نظائر الآيات المتعلقة بهذا الموضوع في سورة التوبة، وسيتم عرضها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: الآيات التي غلب فيها الثواب على العقاب:

1- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: 40].

2- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152].

3- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7].

ثانيًا: الآيات التي غلب فيها العقاب على الثواب:

1- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 14-15].

2- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

3- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: 5].

ثالثًا: آيات جمعت بين الثواب والعقاب:

1- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: 31].

2- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10].

3- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 7-8].

المطلب الثاني: الهدي النبوي لسنة: (الجزاء من جنس العمل):

لا شك أن أعظم الأدب أدب رسول الله ﷺ، فأقواله لا تعدلها أقوال، وأفعاله لا تعدلها أفعال، وكان -ﷺ- غاية في الكمال الخلقي؛ لأن آيته رسالته، وقد وضحت السنة النبوية هذا الجانب، فجاءت مفسرة ومفصلة للسنن الإلهية التربوية، وكان من جوامع كلمه -ﷺ- أحاديث جاءت في معاني الترغيب والترهيب، ومنها أحاديث في الأحكام، ومنها في الرقائق والآداب، وبالتالي جاء التصريح بسنة الجزاء من جنس العمل في عدة أحاديث، عبر صور جليّة تنوعت سياقاتها بين جوانب الترغيب والترهيب، والإحسان والمقابلة، تبين ما طوي تحت الألفاظ من حكم وآداب، وجمال روح الإسلام وسمو أهدافه، وكأن هذا مستوحى من التعاليم النبوية في بيان الكتاب، ومفاد هذه السنة في التقرير النبوي أن نوع الجزاء يصاغ من جنس العمل وطبيعته؛ فجُعلت الرحمة الإلهية جزاءً من جنس الرحمة الإنسانية بالخلق، وكذلك صلة الرحم

الكتاب والأمر بقتالهم حتى يؤدوا الجزية أو يسلموا، ونبذ عهود الكفار، والتصريح بنجاستهم، ثم منعهم من دخول المسجد الحرام إلى الأبد، وتحديد الأشهر الحرم بأربعة أشهر، والحديث في العموم عن السلم والحرب، وأحكام المعاهدات والمواثيق، وبيان فضيلة الجهاد والحث عليه، والنفير العام في سبيل الله بالأموال والأنفس، والإشارة إلى تخلف الأعراب عن الجهاد، وعدم قبول تخلف أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب عن المشاركة في الجهاد، وختمت السورة بمقارنات واضحة تميز بين المؤمنين والمنافقين، وجعل الجهاد فرض كفاية، وتخصيص فئة أخرى من المؤمنين للتفقه في الدين، وجاءت آخر آياتها لتبين صفات النبي -ﷺ- كالرأفة والرحمة بالمؤمنين، وحرصه على هداية الناس (ينظر: البيضاوي، 1418هـ، 70/3، ابن جزي، 1426هـ - 2005م،131/1).

وأما التناسب بينها وبين ما قبلها، فقد جاءَ ترتيبها في المصحف بعد الأنفال، فهي كالمتممة لها، فكلتاهما نزلتا في القتال، وفيهما تقرير لبذل المال في سبيل الله، ومحاربة المنافقين، وبالرغم من الشبه الموضوعي في السورتين، فإنهما في الأصح سورتان مستقلتان، وتناقل المسلمون هذا الفصل في المصحف من عهد الصحابة لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان (ينظر: المراغي، 1365هـ - 1946م، 50/10، الزحيلي، 1411هـ - 1991م، 94/10).

المطلب الثالث: تقرير سنّة: الجزاء من جنس العمل في سورة التوبة:

تميزت سورة التوبة بسمات خطابية فريدة جعلتها نموذجًا صارمًا في تقويم السلوك، وأبرز هذه السمات أنه لا يأتي الجزاء كعقوبة خارجية مجردة، بل كأثر ارتدادي للسلوك البشري، فهي تُبرز كيف ترتبط العقيدة بالتوجيه السلوكي التربوي، وصاغت قانونًا إلهيًا يربط بين طبيعة الفعل وعاقبته، مما يجعلها مادة غنية لتقويم السلوك البشري، وتتجلى سنة الجزاء من جنس العمل في السورة عبر مسارين متقابلين: مسار الثواب والمجانسة للمؤمنين، ومسار العقاب والمشاكلة للمنافقين، فالخطاب القائم على سنة الجزاء من جنس العمل في سورة التوبة لا يهدف إلى التخويف أو التبشير المجرد، بل يرمي إلى تحقيق مقاصد تربوية كبرى، وكل موضوعات السورة تدور إجمالاً حول: التوبة والصدق، والاستهزاء والسخرية، والنسيان والإهمال، وهنا نعرض الآيات مشفوعة بتحليلات من كتب التفسير، تبرهن دلالاتها على سنة الجزاء من جنس العمل من منظور منهجي، يتم عرضها على النحو التالي:

أولاً: آيات انفرد فيها جانب الثواب:

1- سنة الجزاء من جمس العمل في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 99].

قابلت الآية بين القُربة والقُرْب ببيان الربط بين الأعمال الصالحة والنوايا الصادقة للمؤمنين من سكان البادية، وبين الجزاء الإلهي الذي أعدّه الله تعالى لهم، وجاء سياق الآية والتي قبلها مقارنًا بين فريقين من الأعراب؛ لبيان أن أهل البادية ليسوا سواءً، ففيهم الأشد كفرًا، وفيهم المؤمن الصادق الذي يرجو ما عند الله، فرغم أن طبيعتهم تتسم بالشدة والجفاء لبعدهم عن مجالس العلم، إلا أن الله استثنى منهم طائفة جعلت إنفاقها وسيلة للتقرب إلى الله، حيث رأى المعنيون في الآية السابقة: أن النفقة غرامة وخسارة، ورأى الأعراب المعنيون في هذه الآية: أنها مغنمًا واستثمارًا إيمانيًا، فابتغوا بما ينفقون من ومنها: الفاضحة، لما فضحته من سرائر المنافقين، وإنبائها بما في قلوبهم، وهذا الاسم روي عن عمر وابن عباس ﷺ، وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال: «قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ: التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ، وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا...» (البخاري، 2005م، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الحشر، ح (4882).

ومنها: سورة العذاب، قاله حذيفة.

ومنها: المخزية؛ لأنَّ فيها خزي المنافقين.

ومنها: المدمدمة؛ لأنَّ فيها هلاك المنافقين.

ومنها: المشردة؛ لأنها شردت جموع المنافقين وفرقتهم.

ومنها: المثيرة؛ لأنَّها أثارت مخازي المنافقين، وكشفت عن أحوالهم (ينظر: الزمخشري، 1418هـ - 1998م، 5/3، ابن عطية، 1422هـ، 3/3، البيضاوي، 1418هـ، 70/3).

وسورة التوبة مدنية بإجماع المفسرين، وهو مروي عن ابن عباس، وابن الزبير -ﷺ-، وقتادة، وتعد من أواخر ما نزل على رسول الله -ﷺ-، لما رواه البخاري عن البراء- ﷺ- قال: «آخر آية نزلت: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ)، وآخر سورة نزلت براءة» (البخاري، 2005م، كتاب: التفسير، باب: قوله: (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)، ح (4654)).

واتفق الجمهور على أنها نزلت دفعة واحدة، وكان نزولها بعد سورة الفتح في قول جابر بن زيد، وأولها نزل سنة تسع بعد فتح مكة، فأرسل النبي -ﷺ- عليًا ليقرأها على المشركين في موسم الحج، وكان نزول معظمها بعد غزوة تبوك، وهي آخر غزواته -ﷺ-، وقد كان الاستعداد لها وقت القيظ زمن العسرة، وفي أثنائها ظهر من علامات نفاق المنافقين ما كان خفيًا من قبل (ينظر: ابن عطية، 1422هـ، 3/3، ابن كثير، 1420هـ - 1999م، 303/2، الألوسي، 1415هـ - 1994م، 235/5)

وعدد كلماتها ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون (2497) كلمة، وحروفها عشرة آلاف وثمانمائة وسبعة وثمانمائة (10887) حرفًا، وعدد آياتها مائة وتسع وعشرون (129) آية في عدّ الكوفي، ومائة ثلاثون (130) آية في عدّ أهل المدينة ومكة والشام والبصرة، اختلف في ثلاث آيات؛ (أن الله بريء من المشركين)، عدها البصري، ولم يعدها الباقون (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليمًا)، وهو الأول عدّها الشامي ولم يعدها الباقون (وعاد وثمود)، عدّها المدنيان والمكي ولم يعدها الباقون (ينظر: الداني، 1414هـ- 1994م، 160، البقاعي، 1408هـ- 1987م، 152/2).

المطلب الثاني: خصائص سورة التوبة ومقاصدها:

تنوعت سور القرآن الكريم في فواتحها: فمنها ما افتتح بالحمد، ومنها بالتسبيح، ومنها بالقسم، ومنها بالحروف المقطعة، ومن خصائص سورة التوبة ما تميزت به من بين سور القرآن بعدم ذكر البسملة التي هي فاصلة بين سور القرآن، وإنما تركت البسملة فيها لأنها نزلت لرفع الأمان، وبسم الله أمان، كما انفردت السورة باحتوائها أكبر عدد من الآيات التي تقرر فيها أن الجزاء من جنس العمل.

وافتتحت الآيات الأولى من سورة التوبة بالبراءة من المشركين، ومنحهم مدة أمان أربعة أشهر، ثم إعلان الحرب عليهم، وتعددت موضوعات السورة، وتناولت آياتها مقاصد عظيمة؛ وهي تتفق في مجملها مع أغراض السور المدنية، لاشتمالها على الكثير من خصائص القرآن المدني بذكر أحكام جهاد المشركين وأهل الكتاب، فتحدثت عن أوصاف المنافقين، ومجاهدة أهل

4- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: 124].

تُقرر الآية الكريمة سنة إلهية تنص على أن من سلك بقلبه طريق الهداية؛ جازاه الله باستبشار وهدايات تربط سُنّة الجزاء من جنس العمل بالمعاني القلبية؛ حيث إن السلوك النفسي والقلبي الذي يقابل به الإنسان هدايات القرآن، يرتدّ عليه مجازاة من الجنس نفسه.

ومعنى الآية يدور حول الرد على تساؤل المنافقين وتهكمهم؛ توبيخًا لهم وتحذيرًا من شرورهم (أيكم زادته هذه إيمانًا)، ثم ابتدأ الله تعالى الرد عليهم؛ فأخبر أن المؤمنين الموقنين ازدادوا إيمانًا وقوة دافعة إلى العمل بزيادة العلم الحاصلِ من التدبر والوقوف على ما فيها من الحقائق، ثم ارتقي في الجواب عن مقصدهم من الإنكار بأن السورة ليس منفيًا عنها زيادة الإيمان، بل الأمر أشد؛ إذ هي زائدة في الكفر والنفاق مضمومًا إلى كفرهم ونفاقهم الذي هم عليه من فساد الاعتقاد، وبالتالي حظيت الآية بتركيز دقيق من المفسرين؛ حيث استنبطوا منها كيف يتجلى الجزاء القلبي المعجّل متناسبًا تمامًا مع جنس العمل القلبي (ينظر: الرازي، 1420هـ، 175/16،أبو السعود، د: ت، 113/4)، وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى التقابل في الآية بين حال المؤمنين وحال المنافقين، فكان فيها فائدتان للمؤمنين، ومصيبتان للمنافقين (ينظر: ابن عاشور، د: ت، 66/11).

وتتجلّى المقاصد من تقرير سنّة الجزاء من جنس العمل في هذه الآية في أبعاد عقدية وتربوية وسلوكية، تهدف إلى بناء الشخصية الإيمانية، فلما أقبل المؤمنون بقلوبهم مستبشرين بالتكليف، جازاهم الله بانشراح صدورهم وزيادة في إيمانهم واستبشارهم.

ثانيًا: آيات انفرد فيها جانب العقاب:

1- سنة (الجزاء من جنس العمل) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: 35].

تشير الآية إلى دلالات عقدية وتربوية؛ تُظهر كيف يرتدّ فعل الإنسان الذي تمادى في البخل والطمع على جنس جزائه، ويبين الارتباط بين وسيلة العذاب ومواضعه في البدن بطبيعة الذنب الذي ارتكبه مانعو الزكاة الكانزون للذهب والفضة، مبالغةً في وصفهم بالحرص الشديد على المال، والاهتمام بكنزه، فجاءت العقوبة للمعنيين مطابقة لنوع الذنب المعنوي والحسي، وقوله: (هذا ما كَنَزْتُمْ) إشارة إلى المال الذي كوي به، وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها (ينظر: ابن كثير، 1420هـ - 1999م، 141/4)، والمواضع الثلاثة التي أشارت الآية إليها وهي: الجباه، والجنوب، والظهور، عكست تصرفًا سلوكيًا كان يمارسه الكانزون إبان إعراضهم عن الفقراء؛ ولما كان الكي في الوجه أشنع، وفي الجنب والظهر أوجع، خصت من بين سائر الأعضاء، فرتبت العقوبة على حسب حال المعصية؛ وهو يُفصح عن تجلي سنة الجزاء من جنس العمل (ينظر: القرطبي، 1384هـ - 1964م، 1698/3)، فالكانز البخيل أول ما يبدأ يعرض عابسًا وجهه، قابضًا مقدمة جهته، متوليًا بظهره، وقد بين الفخر الرازي المقصد من تخصيص الأعضاء بالعذاب فقال: "المقصود من كسب الأموال حصول فرح في القلب يظهر أثره في الوجوه، وحصول شبع ينتفخ بسببه الجنبان، ولبس ثياب فاخرة يطرحونها أموال وطاعات أن تكون وسيلة تقربهم إلى الله عز وجل، وجاء الجزاء الإلهي بعبارة: (ألا إنها قربة لهم)، ليبين ثمرة القرب؛ وهي غمرهم بالرحمة؛ لأنهم اتخذوا ما ينفقون سبيلاً لنيل دعاء الرسول -ﷺ- واستغفاره لهم، فأثابهم الله تعالى في ختام الآية بقوله: (إن الله غفور رحيم)، فكما رغبوا في دعاء النبي -ﷺ- بالمغفرة والرحمة، جازاهم بمغفرة ذنوبهم.

وتشير الآية إلى دروس إيمانية وتربوية؛ أبرزها أن العبرة ليست لحال الإنسان أو بيئته، بل بصدق إيمانه، وإخلاص النية في العمل، ومن هنا تبرز مقاصد الجزاء من جنس العمل عبر تحويل البذل المادي إلى تقرّب معنوي، ليثمر الجزاء الإلهي أن الاستثمار في طاعة الله يقابل بتوسعة العطاء من جنس العمل، وهو سلوك تطبيقي ينتج عنه عدالة واستقرار في المجتمع المسلم؛ كالمساهمة في دعم المحتاجين وتفريج كربهم.

2- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100].

قابل خطاب الآية بين رضى الله تعالى ورضى عباده السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وهو من أعمق التطبيقات المقاصدية والدلالية لسنة الجزاء من جنس العمل، إذ تجسدت المقابلة الإيمانية بين فعل العبد ورضوان الرب، وقُدم رضا الله في الترتيب تعظيمًا لجنابه تعالى، ولبيان أنه هو الأصل (ينظر: البيضاوي، 1418هـ، 95/3، 1421هـ - 2001م، 20/12).

ويفهم من معنى الآية أن الرضى باق وممتد إلى كل من اتبع المعنيين بالإيمان والطاعة، واقتدَى بهم في أفعالهم إلى يوم القيامة، وهو ما يؤكده الفخر الرازي مبينًا أن الرضى يشمل جميع الأحوال والأوقات (ينظر: الرازي، 1420هـ، 130-128/16).

3- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: 108].

جاءت الآية في سياق الحديث عن مسجد الضرار الذي بناه المنافقون لشق الصف وإشاعة الفساد والفتنة بين المسلمين، وقابلت الآية بين محبّتين: محبة رجال مدحوا في تحصيل الطهارة وإتقانها، ومحبة الله تعالى عمومًا لهذا الفعل بالثواب، وهذه العلاقة تحمل في طياتها دلالات شرعية وتربوية تعكس هذا الأصل القرآني (ينظر: القرطبي، 1384هـ - 1964م، 261/8)، ولما كانت محبتهم موجهة لطلب الطهارة والحرص عليها، جازاهم الله بجنس هذه المحبة؛ وهو تطهير قلوبهم من الذنوب وأمراض القلوب كالنفاق، والكبر، والحسد (ينظر: الطبري، 1425هـ - 2005م، 688/11، الرازي، 1420هـ، 148/11، أبو السعود، د: ت، 103/4).

وترتكز مقاصد الآية حول سنة الجزاء من جنس العمل عبر أبعاد إيمانية وتربوية لا تقف عند حدود الإخبار بالثواب، بل ترمي إلى نتائج تشكّل منهج حياة للمسلم؛ من أبرزها:

- تربية الأمة على استحضار عظمة الأفعال البسيطة متى ما قارنها صدق النية.
- إرساء مبدأ أن الجزاء الإلهي يتبع صدق المقصد.
- إفهام المكلف أن الاعتناء بالظاهر إذا يصاحبه إخلاص نية ينقل السلوك البدني إلى سبب لمحبة الله تعالى.

موضع، والتعبير في الآية بالنسيان عن الترك مبالغة إذا بلغ وجوه الترك الوجه الذي يقترن به نسيان (ينظر: ابن عطية، 1422هـ، 56/3)، وجاء التذييل في الآية بقوله: (إن المنافقين هم الفاسقون)؛ ليُبيّن أن نسيان الله ليس مجرد خطأ عابر، بل هو علة الفسق الذي أنتجته موبقات النفاق، وللمفسرين آراء كثيرة في هذه الآية تدور حول ارتباط سنة الجزاء من جنس العمل بالنسيان والترك، ويبيّن الطبري أن نسيان المنافقين كان بتركهم أمر الله والغفلة عن طاعته، فكان جزاؤهم من جنس فعلهم، فنسيان الله تعالى لهم عبارة عن مجازاتهم على نسيانهم إياه بحرمانهم من رحمته وهدايته (ينظر: الطبري، 1425هـ - 2005م، 549/11).

4- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: 79].

تعرض الآية مفهومًا تأصيليًا للعدالة الإلهية من خلال سنة الجزاء من جنس العمل؛ حيث قابلت بين سخرية عادلة من قبل الله تعالى، وسخرية مذمومة من المنافقين الذين نالوا بألسنتهم من جهد فقراء المسلمين، وقد قرر ابن كثير المقابلة في الآية وربطها بسنة الجزاء من جنس العمل (ينظر: ابن كثير، 1420هـ - 1999م، 188/4)، وجاء سياق الخطاب بأسلوب المشاكلة اللغوية بين قوله: (سخر الله منهم) رَدًا على قوله: (فيسخرون منهم)؛ حيث جاءت السخرية للمنافقين موازية ومماثلة للسخرية التي واجهوا بها متطوّعي المؤمنين، وسخرية الله تعالى هي عقوبة عادلة، تجعلهم عرضة للسخرية والخزي في الدنيا والآخرة (ينظر: القلموني، 1990م، 487/10).

وهذا الأسلوب في الخطاب قد جاءت نظائره عديدة في القرآن الكريم كقوله تعالى في حوار نوح -عليه السلام- مع قومه: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: 38].

ومن عدالة الله تعالى أن من سَخِرَ ليتعالى على غيره، جعله الله بصنيعه هذا محطَّ سخرية وخزي، وهذا المقصد الرادع يزجر النفوس عن ازدراء الناس أو التقليل من شأنهم، وإجراء هذا معلل بتعليل لغوي، يبين أن الانتقال من الدلالة اللغوية والتفسيرية إلى مقاصد تربوية، وهو علاج للآفات النفسية والأخلاقية التي تهدم الأفراد والمجتمعات.

5- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 81].

تعرض الآية نصًا بليغًا في عدالة المقابلة الإلهية، يتمثل في قلب المقاصد الفاسدة على أصحابها؛ حيث قابلت بين فساد قلوب المنافقين وعقابهم؛ وهو الفرار من الحرّ الدنيوي، والوقوع في الحرّ الأخروي بصورته الأبشع والأشد، فكان التهرب من حر يسير في زمن قصير سببًا في الابتلاء بحر كثير في زمن طويل، وتظهر سُنّة الجزاء من جنس العمل من خلال المشاكلة اللفظية من نفس المادة التي أثقلت الخروج على نفوس المنافقين، وهي المصدر: (الحر)، وفعل التفضيل: (حرًا) الذي يربط بين المادّتين، فالأشد حرًا أحرى أن يحذر ويتقى من الذي هو أقلهما (ينظر: المراغي، 1365هـ - 1946م، 174/10، الهرري، 1421هـ - 2001م 371/11)، وقد صرحت السنة النبوية بوصف شدة حر نار جهنم، ففي الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا» (متفق عليه، البخاري، 2005م، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار، وأنها مخلوقة، على ظهورهم" (الرازي، 1420هـ، 39/16)، لذا جاء الخطاب محولاً العقوبة إلى أداة كيّ؛ إذلالاً لهم حتى يذوقوا ألم ما بخلو به.

وهذه الآية مفصحة عن حقائق تتصل بواقعنا المعاصر، والأولى حمل معناها على عموم لفظها تبعًا لاعتبارات مختلفة؛ لأن قاعدة الجزاء في الآية تتجه من مفهوم أداة العقاب إلى قانون تفسيري مقاصدي، يُظهر كمال العدل الإلهي في الربط بين طبيعة الفعل السلوكي والجزاء في الآخرة، ويعالج الآفة النفسية التي داؤها الشح والبخل، ولا يزال جريان قاعدة الجزاء من جنس العمل في النظام المالي المعاصر؛ باعتبار المعدنين الثمينين المذكورين في الآية هما أساس النظام الاقتصادي، ولا بد من تطبيقها على كافة الأرصدة المكتنزة من العملات الورقية، سواء في الخزنات الخاصة أو المصارف عند عدم إخراج حقها الشرعي.

2- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 49].

سيقت الآية لبيان أقوال قالها المنافقون، وهي تؤكد في مجملها سنة ربانية بالغة الأثر في الحكم والأحكام، والعقائد والآداب؛ وهي أن الجزاء يكون بضد القصد، ومفادها أن العبد إذا التمس الاحتراز من الطاعة ذريعة للوقوع في المعصية، عُوقب بالوقوع في شباك الفتنة، فأفادت الآية التنبيه على تطبيق دقيق لقاعدة الجزاء من جنس العمل، حيث عاقب الله تعالى المنافقين بنقيض قصدهم؛ فبسبب الجراءة على الاستئذان بهذه الطريقة، والتذرع بالقعود عن الجهاد خوفًا من الفتنة، جعلهم سبحانه يسقطون في أعظم الفتن، وكان الباعث الحقيقي هو الجبن، والفرار من الجهاد، وجاء سياق التعبير بلفظ: (سَقَطُوا) للدلالة على التلبّس والوقوع الفعلي في الفتنة؛ وهي النفاق والتخلف عن النبي -ﷺ-، فإن أعظم أنواع الفتنة الكفر بالله ورسوله (ينظر: أبو السعود، د: ت، 72/4، ابن عاشور، د: ت، 412/10)، ثم جاء الوعيد الشديد في قوله: (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)، وقد أكد جمع من المفسرين دلالة الآية على سنة الجزاء من جنس العمل (ينظر: الرازي، 1420هـ، 65/16، ابن عاشور، د: ت، 221/10).

3- سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 67].

جاء خطاب الآية في سياق فضح صفات المنافقين النفسية والاجتماعية، وعبر عن جزاء الله تعالى للمنافقين بلفظ: (النسيان) لتناسبه مع لفظ آخر سابق له، ضمن بساط التمهيد الممتد إلى استخدام النسيان مقابل النسيان، وقوفًا عند المقابلة المباشرة بين الفعل وجزائه، فلما كان عملهم هو الترك والإهمال للإيمان، كان جزاؤهم الترك والإهمال من رحمة الله تعالى بهم، وهو تناسب منطقي، يحيلنا إلى أن سنّة الجزاء من جنس العمل ليست خاصة بمنافقي عصر النبوة، بل هي قانون مطرد يسري على كل من يمارس سلوك الإهمال، وفي هذا حماية للمجتمع المسلم من التخلق بأخلاق النفاق، فمن اختار إهمال التكليف الإداري مثلاً، اتجهت أمامه نظرات الاتهام بالتقصير وعدم المبالاة، مما يؤثر سلبًا على سلوك الكفاءة والإتقان الوظيفي، وهو ما يرسخ لدى المكلف الشعور بمسؤوليته الكاملة.

وبه يُعلم أن الجزاء من جنس العمل سنة إلهية، عبر عنها خطاب الآية بلفظ النسيان، وهو أصل متواتر في ثنايا السور، أشار القرآن إليه في غير ما

البيئات التربوية والتعليمية:

يعرض القرآن سنة الجزاء من جنس العمل من خلال الجمع بين الترغيب والترهيب، وبيان مآلات الإحسان والإساءة، بما يراعي طبيعة الإنسان ودوافعه، فذكر الثواب يحفز على فعل الخير، كما أن التنبيه إلى العواقب يردع عن السلوك الضار، وبناءً على ذلك، يمكن دراسة هذه السنة في مجالات متعددة، غير أن البحث يقتصر على ثلاثة مجالات مراعاةً لحجمه، وهي : المجال الوعظي، والمؤسسات التعليمية، والمحيط الأسري.

يتناول هذا المبحث إمكان الإفادة من سنة الجزاء من جنس العمل في تقويم السلوك ومواجهة بعض صور الانحراف الأخلاقي المعاصر، ويبحث ذلك من خلال ثلاثة سياقات؛ علاقة الواعظ بالموعوظين، والتربية داخل الأسرة، والتفاعل بين الإدارة والمعلم والطالب في المؤسسات التعليمية، والغاية هي بيان ما يمكن استلهامه من التوجيه القرآني في هذه المجالات، مع مراعاة اختلاف الظروف وعدم نقل النصوص إلى التطبيقات المعاصرة دون ضوابط.

ولا يخفى على المطلع ما تواجهه المؤسسات التربوية من تحديات تتصل بالسلوك والانضباط، وبكيفية التعامل مع هذه التحديات، وتقتضي المعالجة التربوية تشخيص أسباب المشكلة قبل اختيار وسيلة الإصلاح، مع مراعاة الجوانب النفسية والأخلاقية للمتعلم، وقد نبه ابن عاشور إلى هذه الحقيقة فقال: "إذا بلغ بعض الأديان من الشدة حدًّا مجاوزًا لأصل السماحة لحق أتباعه العنت ولم يلبثوا أن ينصرفوا عنه أو يفرطوا في معظمه" (ابن عاشور، 1427هـ - 2006م، 24)، ويمكن الإفادة من هذا المعنى في نقد الممارسات التربوية التي تغفل التوازن بين الانضباط والرفق، دون تعميم الحكم على جميع المؤسسات.

وعليه ... يركز البحث على استنباط الإفادة التربوية من سنة الجزاء من جنس العمل، مع اتخاذ سورة التوبة مجالًا للتحليل، ولا يقصد بذلك الادعاء بأن الآيات تقدم حلولًا تفصيلية لكل مشكلة معاصرة، وإنما بيان المبادئ التي يمكن أن تسهم في بناء تصور تربوي يستند إلى النص القرآني ويستأنس بالمعرفة التربوية المتاحة.

المطلب الأول: إسقاطها في المجال الوعظي:

من خصائص هذه الأمة اقتداؤها بنبيها -ﷺ-، ومن أبرز هذه الخصائص قيامها بالدعوة إلى الله تعالى، وهي خاصية عظيمة، توارثتها الأمة جيلاً بعد جيل.

ولا شك أن طبيعة النفس البشرية متقلبة بين الإقبال والإدبار، والتقوى والفجور، ولذا كان المنهج التربوي القرآني يتعامل مع هذه التناقضات بحكمة وتوجيه، ومن أبرزها سنة الجزاء من جنس العمل، وقد أشار الطاهر بن عاشور إلى أن المقصد الأعلى للقرآن الكريم هو تهذيب النفوس وتزكيتها، وصلاح الأحوال الفردية، والجماعية، بل حتى العمرانية، ومن أبرز هذه المقاصد: المواعظ، والتبشير والإنذار، والوعد والوعيد، والخوف والرجاء، وكل هذه المتلازمات هي وجوه للترغيب والترهيب (ينظر: ابن عاشور، د: ت، 1/38-41)، ويعنينا من قول ابن عاشور أنه التفت التفاتة صريحة بين فيها علاقة الترغيب والترهيب بالجانب الوعظي، ومن هذا المنطلق فإن بيان هذا المبدأ، وإدخاله في الجانب الوعظي يعد من أنجح الوسائل والأساليب في تقويم السلوك التربوي؛ لاعتماده عنصري الثواب والعقاب، اللذين يشكلان حافزًا قويًا للإقبال على كل ما هو نافع، والإدبار عن كل ما هو ضار؛ لأنهما وجهان

ح (3092)، ومسلم، 2005م، كتاب: الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم، وبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين، ح (2843)، واللفظ للبخاري).

6- **سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 125].**

قابلت الآية بين الذنب والعقوبة، وتضمنت تطبيقًا دقيقًا لسنة الجزاء من جنس العمل في جانبها النفسي والقلبي؛ فبدأت بوصف حالة المخاطبين: (في قلوبهم مرض)، وهو مرض الشك والارتياب الذي دعاهم إلى النفاق، واستجلب ما كانت تكنه صدورهم عقوبة من جنسها؛ وهي الزيادة في الرجس، فكان الجزاء مضاعفة هذا الرجس في نفوسهم معاملة لهم بمقتضى قصدهم واختيارهم، والناظر في ظاهر الآية بتدبر يلحظ أنها تضمنت قانونًا إلهيًا في التعامل مع القلوب وأعمال العباد، حيث تظهر فيها سنة الجزاء من جنس العمل.

لكن ينبغي أن نتذكر دائمًا أن القرآن كتاب هداية وشفاء لما في الصدور، لكن لما أقبل عليه المؤمنون بتدبرهم وخشيتهم من ربهم زادهم هذا التعامل إيمانًا، وفي المقابل لما أعرض عنه المنافقون بالكفر وسوء الاعتقاد زادهم ذلك المرض رجسًا.

7- **سنة الجزاء من جنس العمل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 127].**

جاءت الآية في ختام سورة التوبة، في معرض كشف فضائح النفاق عند نزول الوحي واستماع القرآن، وكان هؤلاء المنافقون إذا حضروا مجلسًا للنبي -ﷺ- تسارقوا النظر، وتغامزوا بالعيون إنكارًا وسخرية بالوحي، وقالوا: هل يراكم من أحد؟، فإن لم يرَهم أحد انصرفوا بأبدانهم وقلوبهم عن مواطن الهدى؛ خوفًا من الافتضاح وبيان حالهم، فلما انصرفوا اختيارًا، جازاهم الله بأن صرف قلوبهم عن صدق الإيمان، والاهتداء بآيات الله، وتعد الآية من أدق النصوص صراحة في الدلالة على سُنّة الجزاء من جنس العمل؛ فهي لا تقف عند حدود الإخبار عن العقوبة، بل تتجاوز المعنى لتُقرر مقاصد قرآنية وتربوية كبرى، وتثبت أن الصرف الإلهي عقوبة عادلة تتناسب مع نوع الفعل، فمن جعل غايته الانصراف عن طريق الاهتداء، جازاه الله بصرف قلبه عنه، ومن جعل الإقبال على الله غايته، أقبل عليه بالهداية والرضى، وقد قرر جمع من المفسرين على تضمن الآية لسنة الجزاء من جنس العمل (ينظر: السعدي، 1420هـ -2000م، 356)، وهذا الصرف الإلهي يبين سوء الفهم والغفلة عن التدبر، في حين أن القلوب المؤمنة تكون خاشعة وغير غافلة عن تدبر الكلامي الإلهي.

ولعله من المفيد التنبيه إلى ما يغفل عنه المسلمون اليوم، مما يحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم؛ وهو أن ترسيخ السنن الإلهية في الوعي البشري يمثل أداة تربوية بالغة الأثر في توجيه السلوك، فحينما تفتح القلوب لآيات القرآن تربو النفوس وتهتز من عظمة المنزل، والسامع إذا تأثر امتثل، وتدبره لا يتأتى إلا من خلال فهم معانيه واستظهارها وتدبرها بما فيها من العبر والعظات، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والوقوف على مقاصده، ثم تخزين هذه المعالم في القلب، لينقلها بدوره انعكاسًا إلى الجوارح، وبناءً على ذلك فإنه يمكن القول بأن التدبر أجلّ نافذة يطل بها المؤمن على كتاب الله عز وجل.

المبحث الرابع: التطبيقات المعاصرة لسنة الجزاء من جنس العمل في

(ينظر: الشوكاني، 1414هـ، 770)، ويظل القرآن أصلًا في بناء الخطاب الدعوي؛ إذ تتنوع فيه أساليب الموعظة بحسب المقام، ومن ذلك الترغيب والترهيب وبيان عواقب الأعمال، لهذا ينبغي للوعاظ استحضار دلالات سنة الجزاء من جنس العمل عند إعداد خطابهم، مع مراعاة الحكمة والرفق.

ومن المهم أن يتعامل الدعاة مع الأفكار والكتب المعاصرة تعاملاً علميًا ناقدًا، يقوم على الفهم والتحليل والتمييز بين ما يوافق الأصول الإسلامية وما يخالفها، بعيدًا عن الأحكام العامة التي لا دليل يسندها، وتُعد الليبرالية مثالًا لاتجاه فكري تتعدد تعريفاته وتطبيقاته، ولذلك ينبغي عند مناقشتها تحديد المقصود بها، والاستناد إلى مصادرها و نقدها بما يفيد، بدل إطلاق وصف واحد على جميع صورها، وقد تناول الدميجي بعض جوانب موقف الليبرالية من محكمات الدين (ينظر: الدميجي، 1433هـ، (9)).

وتؤدي فضيلة التقوى دورًا أساسيًا في توجيه السلوك، إذ تدفع المرء إلى مراقبة الله تعالى والالتزام بمكارم الأخلاق واجتناب المحرمات، ومن هنا تبرز مسؤولية الدعاة في ترسيخ المعاني الإيمانية التي تعين على ضبط النفس، وتربط بين العمل ومآله، ولا يتحقق هذا المقصد بمجرد التذكير بالعقوبة، بل بتربية متوازنة تجمع بين بيان المسؤولية، وفتح باب التوبة، وتعزيز الرجاء في رحمة الله تعالى.

قلت: ولا بأس في استخدام بعض الأمثال المناظرة في معناها لمفهوم سنة الجزاء من جنس العمل؛ كقولهم: "يداك أوكتا وفوك نفخ" (الدمشقي، 1416هـ- 1996م، 268/2)، لا سيما الأمثال الشعبية في مجتمعنا الليبي، والتي يناظر ظاهرها مفهوم سنة الجزاء من جنس العمل، لما لها من أثر فعال في ثقافة وواقع المجتمع الليبي باعتبارها اللغة الدارجة القريبة للنفس، خصوصًا إذا كان الخطاب موجهًا للعامة الذين يصعب عليهم فهم المفردات المعمقة في اللغة الفصحى، ومن هذه الأمثال: (اللي يدير بيده ربي يزيده)، (يا داير يا لاقي)، ومثلها الكثير، وبالخصوص فإن الأطفال هم أول المستفيدين من التربية بضرب الأمثال؛ لأن مداركهم تقف عند الأمور المحسوسة، فلا يمكنهم فهم المعاني الكلية إلا باستخدام هذا الأسلوب الذي أثبت نجاحه (ينظر: بديوي، 20).

وبذا يتضح أن الدعوة إلى الله تعمد إلى إمالة الإنسان إلى الخير، وجذبه عن الشر، ولا يتأتى ذلك إلا باستخدام سنة الجزاء من جنس العمل.

المطلب الثاني: إسقاطها في المحيط الأسري:

حرص الشرع الحنيف على العناية بالأبناء وتربيتهم تربية رشيدة، وكما نبه المسلم على إنجاء نفسه من عذاب الله، فقد طالبه بإنقاذ نفسه وأهله منه، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: 6]، وكذلك نهت السنة النبوية على التوصية بتربية الأبناء، لما رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك -ﷺ-، عن رسول الله -ﷺ- قال: «أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ، وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ» (ابن ماجة، 1426هـ - 2006م، كتاب: الأدب، باب: بر الوالدين والإحسان إلى البنات، ح (3671)).

تبدأ ملامح الشخصية في الأسرة منذ مراحل الطفولة الأولى، وتؤثر أساليب الوالدين في تكوين اتجاهات الأبناء وسلوكهم، ومع اتساع استخدام الوسائط الرقمية وتغير أنماط الحياة، تواجه الأسرة تحديات في ترسيخ القيم وتنمية الانضباط الذاتي الشخصي، ويمكن استلهام سنة الجزاء من جنس العمل في هذا المجال بوصفها مبدأ يربط السلوك بنتائجه، ويعين الطفل على فهم المسؤولية، غير أن تطبيقها ينبغي أن يتجه إلى الإصلاح للترغيب والترهيب، وهما عضادتا الباب، يحددان للنفس البشرية أهدافها وسلوكها تجاه خالقها، فالدعوة عمومًا لا تؤتي ثمارها إلا إذا سلكت أسلوبي الترغيب والترهيب، ولو اعتمدت على واحد دون الآخر لما حققت شيئًا مما تدعو إليه وتعمل لأجله، فلا يطلق اسم الموعظة إلا إذا جمع الكلام بين الترغيب والترهيب مع مراعاة الحكمة في استخدامهما؛ لأن الحكمة من شأنها أن تمنع النفس عن كل منهي، وهو ما قرره جمع من العلماء؛ كابن جزي (ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، 309/2)، والفخر الرازي، (ينظر: مفاتيح الغيب، 203/14)، وابن القيم، (ينظر: مدارج السالكين، (123/3-336/1)، والدامغاني، 1985م، 141)، وأبي السعود، (ينظر: تفسير أبي السعود، 506/2)، والشوكاني، (ينظر: فتح القدير، 770)، والطاهر بن عاشور، (ينظر: التحرير والتنوير، 231/22).

يتضح من هذه الأقوال: أن الواعظ الحكيم هو الذي يجادل ويناقش بالترغيب والترهيب، والثواب والعقاب المتمثلين في سنة الجزاء من جنس العمل, فينصح ويذكر, ويلين في القول تارة, ويحذر أخرى, أما إذا انفرد بأحدهما دون الآخر, فإنه يزيد من يأس المدعو حتى يقطع رجاؤه, أو يأمن حتى يتكاسل, وربما أدى به الأمر إلى الاستهتار بقيم الدين والتكاسل في أداء الفرائض, والملاحظ أن معظم المواعظ القرآنية والنبوية تدور حول تربية الإنسان في العقيدة والسلوك, وتخاطب الوجدان, وتحرك القلوب حتى ترق وتلين، "فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب" (الغزالي، 1419هـ - 1988م، 59/3).

وهكذا كان وعظه -ﷺ- لأصحابه؛ فهو يخاطب القلوب لا العقول, مراعيًا الحكمة في كل مقام امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: 125].

وعلى هذا النهج يجب أن يسير دعاة الأمة ووعاظها في استخدام الحكمة، إسوة بنبيهم -ﷺ-، وهو ما يؤكده أبو حامد الغزالي بقوله: "فعلى الواعظ أن يقتدي بسيد الوعاظ، فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة، وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلح" (الغزالي، 1419هـ- 1988م، 218/4)، وعلى الواعظ أن يراعي مشاعر النفس البشرية في الملل، ويروح ساعة وساعة لمن ألقى إليه السمع, وأن لا يبالغ في وعظه ونصحه حتى درجة السآمة، بل يقتصد في وعظه، وينتهز الفرص لمقام الوعظ، فعن ابن مسعود –ﷺ– قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»، (متفق عليه، البخاري، 2005م، كتاب: العلم, باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ح (68)، ومسلم، 2005م، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار, باب: الاقتصاد في الموعظة, ح (2821)، واللفظ للبخاري).

ويتوجب الاقتداء بهذه السنة في المجال الدعوي ربط المعنى القرآني بالواقع، بحيث يدرك المتلقي العلاقة بين اختياراته وآثارها، دون الاقتصار على التخويف أو التبشير المجرد، ويبرز هنا دور الواعظ في توضيح المعنى، واختيار الأسلوب الملائم، وبناء الوعي الأخلاقي والسلوكي على أساس المسؤولية عن العمل ونتائجه.

ويحتاج الواعظ إلى معرفة أحوال من يخاطبهم، ومراعاة تفاوتهم في الفهم والاستجابة، كما يراعي الطبيب حال المريض عند اختيار العلاج، وقد أشار الشوكاني إلى هذا المعنى في تشبيه الواعظ بالطبيب والموعوظ بالمريض

وفرص للتعلم من الخطأ، لا عبر التخويف أو التهديد، كما أن الأمانة العلمية والعدل في التقويم، يعززان لدى الطالب إدراك قيمة الجهد وتقدير معلمه.

ويفهم من ذلك أن سنة الجزاء من جنس العمل يمكن أن تُستثمر في المجال التعليمي بوصفها مبدأً داعمًا للمساءلة والإنصاف، لا باعتبارها نظامًا عقابيًا منفردًا، فالمؤسسة التي تجمع بين وضوح المعايير، والعدل في تطبيقها، وتشجيع المتفوقين، تكون أقرب إلى بناء بيئة تعليمية تحترم المسؤولية، وتكافئ الإحسان ، وتعالج التقصير معالجة تربوية وفق المعايير الحديثة.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أعان على إتمام هذا البحث الذي كان مقصده الأساسي النظر في دلالات هذه السنة القرآنية (الجزاء من جنس العمل)، واستنباط ما يتصل بها من مقاصد تربوية يمكن الإفادة منها في بعض المجالات المعاصرة، وفي ختامه أرجو أن يكون له أثر وفضل في الدنيا والأخرة، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل نافعًا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

ولم يبق إلا أن يشار إلى أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة:

أولاً: النتائج:

1- خلصت الدراسة إلى أن سنة الجزاء من جنس العمل في سورة التوبة انتجت اشارات تربوية تربط بين دلالة النص وأثره في السلوك.
2- أظهرت الدراسة أن السنن الإلهية الواردة في القرآن الكريم تمثل أصلاً هادياً للسلوك، وأن تدبرها يعين على فهم العلاقة بين العمل وعاقبته.
3- تبيّن أن سنة الجزاء من جنس العمل لا تقتصر دلالتها على الثواب والعقاب في الآخرة فحسب، بل تتضمن توجيهًا تربويًا يرسخ المسؤولية عن الأفعال وآثارها.
4- خلص البحث إلى إمكانية الإفادة من المقاصد المستنبطة من آيات سورة التوبة في بعض البيئات التربوية، مع مراعاة الضوابط الشرعية والتربوية عند الانتقال إلى التطبيق.
5- قدمت الدراسة صورًا تطبيقية يمكن أن يستفيد منها الوعاظ والأسر، والمؤسسات التعليمية، في تعزيز الوعي الأخلاقي وتقويم السلوك.
6- أكدت الدراسة خصوصية المنهج القرآني في بناء الإنسان، غير أن المقارنة مع المناهج والنظريات التربوية تحتاج إلى دراسة مستقلة، بدل التعميم على جميع المناهج أو اختزالها في العقاب.
7- خلص البحث إلى أن سورة التوبة تقدم نماذج قرآنية، يمكن تحليلها في ضوء العلاقة بين السلوك وعاقبته، بما يسهم في بناء تصور تربوي يعزز المسؤولية، والإصلاح الأخلاقي.

ثانيًا: التوصيات:

1- إعداد برامج تربوية عملية تستثمر السنن القرآنية في تنمية المسؤولية الذاتية.

والتوجيه، لا إلى الانتقام أو الإيذاء، وأن يراعي حين تطبيقها سن الطفل وحالته النفسية والفروق الفردية، فالعقوبة التي تتجاوز حدود التهذيب إلى الإهانة أو الحرمان المؤذي أو الاعتداء الجسدي لا تحقق المقصد التربوي، بل قد تفضي إلى آثار عكسية.، ويؤكد الحديث النبوي ضرورة العدل بين الأبناء في قوله – صلى الله عليه وسلم-: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ «)متفق عليه، البخاري،2005 م، كتاب الهبة وفضلها، باب الإشهاد في الهبة، برقم2447 ؛ ومسلم،2005 م، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، برقم1623 ، واللفظ للبخاري ، كما عقد ابن خلدون فصلًا في أثر الشدة على المتعلمين (ينظر :ابن خلدون،.(617)

وقد يلجأ الطفل إلى إخفاء الخطأ خوفًا من العقوبة، فيتحول الكذب إلى وسيلة لتجنب المواجهة، أو تتفاقم مشاعر الغيرة والعدوان إذا غابت العدالة في المعاملة، ويعرض القرآن قصة إخوة يوسف - عليه السلام- مثالًا على أثر الغيرة حين تتحول إلى تدبير الأذى، قال تعالى :﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾] يوسف .[9-8)، ويستفاد من ذلك أهمية معالجة المشاعر السلبية مبكرًا، بالإنصاف بين الأبناء، وعدم الاكتفاء بالعقوبة الظاهرة دون فهم دوافع السلوك.

وبناءً على ما تقدم، فإن توظيف سنة الجزاء من جنس العمل في التربية الأسرية يحتاج إلى ضوابط تحفظ مقصد الإصلاح، وتراعي العدل والرفق وخصائص المرحلة العمرية، فالمقصود أن يتعلم الأبناء تبعات أفعالهم، وأن تُتاح لهم فرصة تصحيح الخطأ، لا أن يتحول الجزاء إلى وسيلة للإيذاء أو الإذلال.

المطلب الثالث: إسقاطها في المؤسسات التعليمية:

يمكن تطبيق بعض المبادئ المستفادة من سنة الجزاء من جنس العمل داخل المؤسسات التعليمية، من خلال ربط المسؤولية بالنتائج، وتعزيز العدالة في التعامل بين الإدارة ، وأعضاء هيئة التدريس، والطلاب، ويشمل ذلك وضوح اللوائح المتبعة، وتكافؤ الفرص بين الجميع، ومراعاة الأعذار المشروعة للكل، والابتعاد عن المحاباة، أو العقوبات غير المناسبة، ويهدف هذا التوجه إلى دعم الانضباط المؤسسي والثقة المتبادلة بين الطلاب وإداراتهم.

فحينما تتبنى الإدارة معايير واضحة لتقويم الأداء، وتربط التقدير بالجهد والإنجاز وفق ضوابط عادلة تطبق على الجميع بدون تحيز، فإن ذلك الأمر يعزز الشعور بالانتماء والمسؤولية تجاه المؤسسة التعليمية، أما القرارات التي يشوبها التمييز والتحيز لفئة دون أخرى، فمن شأنها أن تضعف الثقة بين الأفراد، وتنعكس سلبًا على الأداء، ولذلك فإن المقصود من تطبيق المبدأ القرآني هنا ليس إقرار عقوبة آلية، بل ترسيخ العدالة والمساواة ومراعاة الظروف.

ويظهر أثر ذلك في علاقة الأستاذ بطلابه؛ فالتقييم المنصف، ووضوح معايير الاختبارات، واحترام الطلاب، ومنحهم فرصًا متساوية من الاهتمام والتقدير، تدعم الثقة والرغبة في التعلم، وفي المقابل تؤدي الشدة في التعامل إلى نفور الطالب وضعف مشاركته، وربما يدفعه إلى سلوكيات خاطئة منها: التهور، والغش، وعدم الاحترام.

ومن ثمّ فإن ربط العمل بنتيجته ينبغي أن يتم عبر قواعد تربوية معلنة،

ماجه، تحقيق: محمد بربر، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، ط: الأولى، 1426هـ - 2006م.
13-ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 1423هـ - 2003م.
14-أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د: ط، د: ت.
15-أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: 1403هـ)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبه السنة، القاهرة، ط: الثانية، 1423هـ - 2003م.
16-أحمد سعد الخطيب، مفاتيح التفسير، دار التدمرية، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1431هـ - 2010م.
17-الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1415هـ - 1994م.
18-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، عمان – الأردن، ط: الأولى، 2005م.
19-بديوي، د أحمد علي، الثواب والعقاب وأثره في تربية الأولاد، القاهرة، 1993م، (19).
20-البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن أبي بكر (ت: 885هـ)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى، 1408هـ - 1987م.
21-البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1418هـ
23-الحسين جرنو محمود جلو, أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1414هـ - 1994م.
24- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي (ت: 385هـ)، سنن الدارقطني، تحقيق: نخبة من العلماء، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1424هـ - 2004م.
25-الدامغاني، الحسين بن محمد، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط: الخامسة، 1985م.
26-الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان (ت: 444هـ)، البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط: الأولى، 1414هـ- 1994م. 24.
27- الدميجي، د صالح بن محمد بن عمر، موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، مجلة البيان، الرياض، ط: الأولى، 1433هـ
الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني (ت: 1425هـ)، البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط: الأولى، 1416هـ - 1996م.

2- دعوة الجهات المعنية بالتعليم إلى دراسة إمكانية تضمين القيم والمقاصد القرآنية في برامج بناء شخصية النشء، وفق مناهج تربوية مناسبة للمراحل العمرية.
3- تشجيع الباحثين على إعداد دراسات تطبيقية تتناول المقاصد التربوية في سور القرآن الكريم.
4- التوسع في البحوث التي تربط بين دلالات الخطاب القرآني والدراسات السلوكية، على نحو يوضح حدود الاستفادة ومجالات التكامل بينهما.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1-ابن جزي، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي (ت: 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: رضا فرج الهمامي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، 1426هـ - 2005م.
2-ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن إدريس الذهلي الشيباني (ت: 241هـ)، المسند، بيت الأفكار الدولية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 2005م.
3- ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: أحمد الزعبي، مقدمة ابن خلدون، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت – لبنان، د: ت.
4-ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: 1393هـ)، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الثانية، 1427هـ - 2006م.
5-ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: 1393هـ)، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د: ط، د: ت.
6-ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: 1393هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الإسكندرية – مصر، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م.
7-ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1422هـ
8-ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي (ت: 620 هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: د شعبان محمد إسماعيل، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية 1423هـ- 2002م.
9-ابن قيم الزوجية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1411هـ - 1991م.
10-ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت: 751هـ)، مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت، ط: الأولى، 1424هـ - 2003م.
11-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ط: الثانية، 1420هـ - 1999م.
12-ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 275هـ)، سنن ابن

الصباح، دمشق، ط: الأولى، 1414هـ - 1993م.
44-العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن أبي بكر العراقي (ت: 806هـ)، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1426هـ - 2005م.
45-العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (ت: 660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1414هـ - 1991م.
46-علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، تحقيق: د: إسماعيل الحسني، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية – مصر، ط: الأولى، 1432هـ - 2011م.
47-الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، إحياء علوم الدين, تحقيق : أبو حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران, دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة – مصر، 1419هـ - 1988م.
48-الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، جواهر القرآن، اعتنى به وراجعه: سالم شمس الدين، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1427هـ - 2006م.
49-الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1413هـ - 1993م.
50-الغزالي، محمد، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط: الرابعة، 2010م، (89).
51-الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد الفراء (ت: 207هـ), معاني القرآن، عالم الكتب , بيروت – لبنان، ط: الثانية، 1980م.
52-الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المكتبة العلمية، بيروت، د: ط، د: ت.
53-الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426هـ - 2005م.
54-القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن، دار الشروق، ط: الثانية، 2011م.
55-مسعود صبري، بداية القاصد إلى علم المقاصد، مركز الراسخون، الكويت، ط: الأولى، 1440هـ - 2018م.
56-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية، 1384هـ - 1964م.
57-القطان، مناع بن خليل (ت: 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الطبعة الثالثة، 1421هـ- 2000م.
58-القلموني، محمد رشيد بن علي رضا (ت: 1354هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
59-محمد السيد يوسف، منهج القرآن في إصلاح المجتمع، دار السلام
28-الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، 1420هـ
29-الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد خليل عيتابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الرابعة، 1426هـ - 2005م.
30-الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت: 1436هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق - سورية، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1411هـ - 1991م.
31-الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت: 1367هـ)، مناهل العرفان، تحقيق: د. أحمد عيسى المعصراوي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ط.: الأولى، 1424هـ - 2003م.
32-الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: 794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط: الأولى، 1414هـ - 1994م.
33-الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية، ط: الأولى، 1418هـ - 1998م.
34-السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420هـ-2000م.
35-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911 ه)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ - 1974م.
36-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، تمام الدراية لقراء النهاية، تحقيق: إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1405هـ - 1985م.
37-السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا - مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع بالقاهرة، 1422هـ - 2002م.
38-الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت: 790هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: محمد هبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط: الأولى، 1423هـ - 2002م.
39-الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني (ت: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط: الأولى، 1414هـ
40-صبحي الصالح (ت: 1407هـ)، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط: العشرون، 1997م.
41-الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت: 360هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ - 1995م.
42-الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: نخبة من الأساتذة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ط: الأولى، 1425هـ - 2005م.
43-عتر، نور الدين محمد الحلبي (ت: 1442هـ)، علوم القرآن الكريم، مطبعة

العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1426هـ - 2006م.
65-الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي (ت: 1441هـ)، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1421هـ - 2001م.
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الأولى، 1424هـ - 2004م.
60-المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، 1365هـ - 1946م.
61-مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، إخراج وتنفيذ: فريق بيت الأفكار الدولية، عمان – الأردن، ط: الأولى، 2005م.
62-النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها, دار الفكر, دمشق – سوريا، ط: الثانية، 1403هـ - 1983م.
63-النحلاوي، عبد الرحمن، التربية بالترغيب والترهيب، دار الفكر، دمشق، 2008م.
64-النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن علي بن سنان بن دينار النسائي (ت: 303هـ)، سنن النسائي، تحقيق: عبد الغني مستو، المكتبة